الفصل الثانى

الحالة الاقتصادية فى المانيا فى اوائل القرن التاسع عشر

- التجارة
- الصناعة و الزراعة
- تأخر المدن
- اخضاع نابيليون لبروسيا
- الاصلاح فى بروسيا
- اصلاح شتاين
- الاصلاحات الفرنسية فى المانيا

obeikandl.com

obeikandl.com

التجـــارة:

إن تاخر الحالة السياسية والاجتماعية فى المانيا كان له أسوأ أثر فى حالتها الاقتصادية ، فان كثرة الولايات المستقلة كانت عقبة كبيرة فى سبيل رواج التجارة الداتخلية الداخلية ، إذ كانت كل ولاية محاطة بحواجز جمركية عالية عاقت مرور التجارة منها وإليها ، وكانت الولايات تختلف اختلافاً عظيماً فيما بينها فى قوانينها وضرائبها وأنظمتها الخاصة بالتجارة والصناعة، مما أدى الى زيادة عرقلة التجارة وتقليل مقدارها وتكبيلها بالأغلال الثقيلة . ولا ننسى ماكان يلاقية المسافرون والتجار من كثرة المتاعب والأخطار بسبب قلة الطرق البرية وعدم تمهيدها ،وكثرة انتشار اللصوص والمجرمين فيها ، وذلك فضلاً عن ضعف القوة الشرائية عند أكثرية السكان بسبب انتشار الفقر بينهم وانخفاض مستوى معيشتهم .
ولذا كانت تجارة المانيا الداخلية ضئيلة وكاسدة ، وكانت تجارتها الخارجية تبعاً لذلك لا تستحق الذكر.

الصناعة والرزاعة :

أما الصناعة فقد كانت يدوية وعظيمة التأخر بسبب شدة سيطرة النقابات الطائفية عليها وتدخل الحكومات المستمر فى شئونها وفساد نظام الضرائب وفداحته . فى حين أن الزراعة كانت فى الخطاط كبير على الرغم من كونها المنهة الرئيسية للسكان ، لأن القيود الكثيرة على ملكية الارض واستبدالها ، والجهل المخيم عهلى طبقة المزارعين وسكان الريف عموماً لم يكن من العوامل المشجعة على تقدم الزراعة وحسن انتاجها . وبدلاً من أن يزيد رخاء طبقة صغرا المزارعين وبكثرعدد افرادها بمرور الزمن فانها كانت فى الخطاط مستمر لتحول المالك الصغير الى عامل اجير وذلك بسبب شدة فقره وجهله وارتباك شئونه اللمالية ، أما فى فرنسا فان تلك الطقة كانت قبل الثورة

فى تزايد مطرد ، وبعد ما قامت الثورة عظم شأنها وصارت من أهم الطبقات فى المجتمع وأكثرها رضاء عن حالتها .

تأخر المـــدن :

تأثرت مدن ألمانيا بكساد التجارة وتأخر الصناعة فنقص عدد سكانها واضمحل شأنها ، وكانت وقتئذ لاتضارع فى الثروة والرفاهية ما كانت عليه فى العصور الوسطى عندما قام اتحاد هنسا لتنظيم التجارة الأوربية وخدمتها. وقد تكون هذا الاتحاد فى القرن الثانى عشر واشتمل على نحو تسعين مدينة كبيرة تقع فى غرب المانيا وشمالها الغربى ، وكذلك فى الاراضى المنخفضة وسواحل بحر بلطيق . وكان الاتحاد يهيمن على تجارة شمال أوربا فى الأخشاب والفراء والحوب ، كما اشتغل بالتجارة مع الشرق عن طريقمصر والبندقية وجنوة ، فلما اقفل طريق الشرق الادنى ومصر بعد الفتح العثمانى تحولت التجارة الى غرب أوربا والى طريق رأس الرجاء الصالح ، ولذا حل الكساد والخراب بمدن هذا الاتحاد كما حل بمدن ايطاليا ، وزالت سطوتها ورخائها واصبحت أثراً بعد عين ، وصار استقلال مدن المانيا فى القرن الثامن عشر ومبانيها الجميلة وتحفها النفيسة مما لا يتفق مع ما وصلت إليه من الفقر والاضمحلال ، ولا يقوم إلا بتذكير أهلها بعظمتهم التالدة وثروتهم البائدة.

ولعل حالة المانيا السيئة التى أوجزنا وصفها تحمل الانسان على الاعتقاد بأن المانيا كانت أحق من فرنسا بقيام الثورة فيها لكونها أكثر منها انحطاطاً واشد منها حاجة الى الاصلاح ، ومع ذلك فقد بقيت المانيا هادئة عند ما اندعلت نار الثورة فى فرنسا ، بل كانت فى طليعة الدول التى هاجمت فرنسا الثائرة وعملت على محاربة مبادئها الخطيرة بكل الوسائل ، ويعلل عدم قيام الثورة فى المانيا بالأسباب الآتية:

١-**اليأس من الاصلاح** : لأن شدة تأخر ألمانيا دفعت بشعبها إلى اليأس من الاصلاح وإلى الرضوخ إلى حكم القضاء ، فى حين أن الشعب الفرنسى كان أكثر رقياً من الشعب الألمانى ، ولذا ضاق ذرعاً بما خضع له من القيود وكان عظيم الأمل فى التخلص منها دفعة واحدة .

٢-**قوة الرجعية فى المانيا** لكثرة الولايات المستقلة فيها ، مما أدى إلى عظم نفوذ الحكومات الرجعية وسهولة القضاء على كل ما ظهر من بوادر الثورة فى أقاليمها الصغيرة . أما فى فرنسا فان تركز السلطة بأجمعها فى يد الملك كان من العوامل المساعدة على قيام الثورة فيها ونجاحها ، لأنه بعد أن تجرد الملك من سلطته لم تبق فى البلاد قوة قادرة على الوقوف فى وجه الاصلاح فكانت فرنسا فى عهد النظام القديم تشبه إقليماً يحرسه حصن واحد ، فلما سقط هذا الحصن فى أيدى الأعداء اضطر ذلك الاقليم الى التسليم وانهار النظام من اساسه . أما فى ألمانيا فقد كان للنظام القديم معاقل كثيرة، إذا سقط أحدها ثبت الأخرى او تقدمت لانقاذه، هذا فضلا عن أن أعداء هذا النظام فى فرنسا كانوا أمة بأسرها، أما فى المانيا فكانوا فصائل صغيرة متخاذلة بسبب عدم اتحاد قوتها وقيادتها .

٣-**ضعف الطبقة المتوسطة فى المانيا** بعكس حالها فى فرنسا ، فان أكثرية سكان الريف فى المانيا كانت خاضعة لنظام العبودية ، أما سكان المدن فقد انقسموا بين كبار التجار وطبقة العمال المأجورين ، ولم تكن لهم صلة كبيرة بسكان الريف او بسكان المدن الأخرى . ولذا حرمت ألمانيا من الطبقة التى كان فى مقدورها فهم الآراء الحديثة أو تولي قيادة الطبقات الفقيرة نحو الاصلاح ، وقد رأينا فيما سبق كيف كانت الطبقة المتوسطة فى فرنسا المعمول الرئيسي فى هدم النظام القديم ، فهى التى عضدت الحركة الفكرية الجديدة ونشرت مبادئها بين جميع الطبقات ، وهى التى تصدرت زعامة الثورة وقادت جماهير العامة نحو النصر.

obeikandi.com

٤-**ضعف الحركة الفكرية:** ظهرت فى ألمانيا فى خلال القرن الثامن عشر حركة فكرية جديدة كانت كثيرة الشبه بالحركة المعاصرة لها فى فرنسا : وكان على راس تلك الحركة الكتاب والشعراء الخالدو الذكر مثل (جوته) و(شيلر) و(لنسج) وقد نجحت تلك الحركة فى إيجاد نهضة كبيرة فى ألمانيا، وإيقاظ الروح القومية الخامدة فى شعبها ، غير أن العوامل التى حملت ألمانيا على الخضوع لحالتها السيئة ، ومنعتها من الثورة فى وجه الفقر والاستبداد ، أدت أيضاً إلى ضعف الحركة الفكرية فيها بالنسبة إلى ماكانت عليه من الأهمية فى فرنسا .

ومع ذلك فقد كانت ألمانيا فى مستهل القرن التاسع عشر تستقبل فجر عصر خطير من الاصلاح لم يترك ناحية من نواحى الحياة فيها إلا غيرها تغييراً جوهرياً . ولكن هذا الاصلاح لم يحدث كنتيجة لظروف داخلية معينة، كما كان الحال فى فرنسا ، بل كنتيجة لظروف السياسة الخارجية ، بعد أن انتهت الثورة فى فرنسا ويزغ نجم نابليون.

إخضاع نابليون لبروسيا :

كانت بروسيا من أهم الدول التى تآلفت فيما بينها لمحاربة الثورة الفرنسية بعد ظهورها ، ولكنها أخذت تنسحب تدريجياً من موقفها العدائى نحو فرنسا بسبب ضعف حكومتها وكثرة ترددها، ولما أظهرته فرنسا من قوة الشكيمة والمهارة الحربية الفائقة . غير أن انتصارات نابليون العديدة على النمسا واستيلائه على أغلب ولايات ألمانيا الغربية أدى إلى إحراج بروسيا وإيغار صدرها نحوه ، ولذا أعلنت عليه الحرب فى أواخر سبتمبر سنة ١٨٠٦ ، وكانت عظيمة الثقة بالنصر نظراً لما اكتسبت جيوشها من السمعة المجيدة والانتصارات العديدة فى عهد فردريك الأكبر.

غير أن نابليون تمكن من القضاء على الجيوش البروسية قضاء سريعاً وحاسماً فى معركتى (إيينا) و (اورستاد) فى شهر أكتوبر من تلك السنة ، وبعد أسبوع واحد دخل ظافراً فى برليم ، ولم تلبث أن سلمت له جميع معاقل بروسيا دون أن تحاول الدفاع عن نفسها ، ثم هرب ملك بروسيا إلى الحدود الشرقية وترك بلاده مرتمية تحت قدمى نابليون ، وصار يحق لهذا أن يقول :" إن جيوش بروسيا قد تلاشت كضباب الخريف أمام الشمس المشرقة ، وزالت بروسيا نفسها من الوجود".

وقد تمكن نابليون بعد قليل من التغلب على الجيوش الروسية التى كانت متحالفة مع بروسيا ، وعقد بالاتفاق مع قيصر الروسيا معاهدة (تلست) فى ٧ يوليو سنة ١٨٠٧، وبهذه المعاهدة بلغ نابليون ذروة المجد ، كما بلغت بروسيا أسفل درجات الحضيض ، إذا اقتطع منها نحو نصف مساحتها فتحولت أملاكها فى بولندة إلى دوقية وارسو وصار يحكمها ملك سكسونيا الذى كان خليفاً لنابليون ، وتكونت من أملاك بروسيا غربى نهر الألب مملكة وستفاليا وجلس على عرشها أخو نابليون ، ثم ضمت الأراضى الألمانية الواقعة غربى نهر الرين إلى فرنسا مباشرة . ولم يكتف نابليون بذلك ، بل إنه أمعن فى إهانة بروسيا وإذلالها ، فبقيت الجيوش الفرنسية تحتلها إلى أن يتم دفع غرامة كبيرة وغير محدودة المقدار.

سببت تلك الصدمات المتتالية ذهول الشعب البروسى، وافقدته رشده فى بداية الأمر، ولكن سرعان ماتحول الذهول إلى سخط عام على النظام القائم، وعزيمة جبارة لتخليص البلاد من ورطتها وإزالة وصمة العار التى لحقت بها ، إذ تبين للرأى العام أن ضعف بروسيا وهزيمتها لم يكونا نتيجة خور الشعب واضمحلاله ، بل نشأ عن عجز الملك وسوء تدبيره، وعن فساد نظام الجيش وضعف قيادته ، مع أن الجيش كان معقد آمال الشعب ومصدر فخاره.

وقد بذلت بروسيا مجهوداً شاقاً فى إصلاح شئونها ونجحت نجاحا فائقاً فى التخلص من ملمتها فى أقصر وقت ، مما حمل نابليون فيما بعد على التصريح بأن اكبر غلطاته أنه وقت سيطرته على بروسيا لم يعزل ملكها ويقضي عليها قضلء مبرماً . وعسير علينا أن نعتقد بأن مثل تلك الخطط العنيفة كان من شأنها أن تحول دون نهضة بروسيا واستردادها لقوتها ، وذلك نظراً لظهور الروح القومية بين شعبها ، وما اتصف به من صلابة الخلق وقوة الشكيمة . وقد وصف الأستاذ "هندرسن" نهضة بروسيا العجيبة بالعبارة الآتية بعد "أن جرحت كرامة بروسيا ومزقت املاكها ، وبعد أن سقط النقاب فجأة عن الفساد المتغلغل فى أنظمتها القديمة ، وزالت ثقتها فى قادتها المجر بين وساستها المحنكين ، وبينما كان جيش فرنسى مكون من ١٥٠.٠٠٠ مقاتل يحتل بلادها ، ويتربص للفتك بها ، وبينما كانت البلاد تحتمل غرامة حربية تتزايد فى مقدارها كلما سددت أقساطها ، إذا ببروسيا تنهض من الحضيض ، وتتخلص من الأوحال التى تردت فيها وعلقت بها ، وتكون لنفسها جيشاً جديداً ونظامها جديداً للحكومة ، ثم لم تكتف باسترداد كل مافقدت بل مهدت لنفسها ولألمانيا المتحدة الطريق الى مراتب من العز والرفعة لم تحلم بها من قبل".

الاصلاح فى بروسيا :

كان من حسن التوفيق أن بروسيا وقت محنتها وجدت الزعماء الذين استطاعوا إقالة عثرتها وفك عقالها وإرشادها إلى طريق الخلاص والاصلاح إذ أنه على الرغم من المثل القائل ، بأن الشدائد تخلق الرجال ، فأن من مآسى التاريخ أن كثيراً من الدول لم تجد من ينقذها ويأخذ بناصرها عند ما اشتد الكرب وعظم الخطب . ولكن بروسيا وجدت وقتئذ كثيرين من الزعماء الذين اخلصوا فى خدمتها واحسنوا قيادتها. ولعل أعلاهم كعباً وأجدرهم بالذكر والتقدير الزعيمان الكبيران (فيخته) و(شتاين) وقد كان كل منهما يختلف عن

الآخر فى مواهبه ووسائله لخدمة بلاده ، ومع ذلك اشتركا فى شرف انقاذ الوطن ، وليس من الميسور تفضيل أحدهما على الآخر . وذلك لأن "فيخته" كان الخطيب المفوه ، والكاتب العبقرى والمفكر القدير الذى أيقظ روح الشعب ، وأثار حميته ، وأعاد إليه ثقته بنفسه ، فى حين أن "شتاين" كان الادارى الحازم والسياسى البارع الذى سهر على تنفيذ الاصلاح من ناحيته العملية وقضى على أكبر مواقع الضعف فى إدارة الحكومة.

وفى أواخر سنة ١٨٠٧ بينما كانت الجيوش الفرنسية لا تزال محتلة برلين قام "فيخته" بالقاء سلسلة من المحاضرات العامة ليشرح لمواطنيه المبادئ السامية التى يجب أن يسترشد بها الفرد فى تنفيذ واجباته الوطنية والاجتماعية وبين أن الأنانية والانقسام أس المصائب التى انتابت ألمانيا وأضعفتها ، ثم حث على ضرورة نشر التعليم العام وإزالة الفوارق بين الطبقات ، الى غير ذلك من الاصلاحات المفيدة . وقد امتازت محاضراته ببلاغة العبارة وجلائها ، وكثرة استشهاده بأمثلة عديدة من الدين والتاريخ والفلسفة ، ولذا كانت مثيرة للنفوس ، محركة للقلوب ، فدبت فى الناس روح جديدة ، وتنبهوا من غفلتهم ، واجمعوا كلمتهم على المطالبة بالإصلاح.

أما "شتاين" فانه بعد ان خبر أغلب أعمال الحكومة فى السلكين الإدارى والسياسي ، صار وزيراً للتجارة سنة ١٨٠٤ ونجح فى اثناء وزارته فى إلغاء الجمارك الداخلية فى بروسيا وإدخال كثير من الاصلاحات الضرورية للبلاد. ولكنه عندما حلت كارثة إيينا رفض الاشتراك فى الوزارة بعد تعديلها بسبب عدم موافقة الملك على تقليل نفوذ حاشيته ، وهو النفوذ الذى كان غير متفق مع عدم مسئوليتها عن إدارة شئون الحكومة . ولكن لم تمض ستة شهور حتى اضطر الملك الى استدعائه للانتفاع بخبرته الواسعة وسياسته الحكيمة ،

فتولى "شتاين" رئاسة الوزارة فى ٤ أكتوبر سنة ١٨٠٧ وهو متمتع بسلطة واسعة غير محدودة.

اصلاحات شتاين:

ام تعمر وزارة "شتاين" طويلاً لأن الاصلاحات العديدة التى أدخلها فى عام واحد أثارت مخاوف نابليون ، ولذا أرغم ملك بروسيا على إقالتها ، ولكن هذه الفترة على قصرها كانت كافية لاحداث تغيير جوهرى فى حالة بروسيا من جميع الوجوه . ويرجع ذلك إلى أن شتاين كان أول سياسى ألمانى قبل "بسمارك" اعتقد بامكان توحيد ألمانيا سياسياً / ورأى ضرورة العمل على تحقيق ذلك بكل الوسائل ، كما أنه سعى الى تحويل بروسيا من مملكة مستبدة الى مملكة دستورية تقوم فيها الحكومة على أساس المسئولية الوزارية والإدارية الصالحة النزيهة . غير أن الوقت والظروف لم تسمح له بتنفيذ خطته ، ولذا اكتفى بوضع الاصلاحات الآتية:

١-**توسيع سلطة الوزارة :** صدر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٠٨ مرسوم بتعديل مظام الحكم فى بروسيا ، فأصبح لتلك المملكة مجلس من الوزراء ممتع بسلطة واسعة ، وبذلك تحددت سلطة الملك وقضى على نفوذه حاشيته ، وصارت الوزارة قادرة على تنفيذ ما ارتأته من وجوه الاصلاح من غير هوادة ومن غير ان تلقى مقاومة جدية.

٢-**نشر اللامركزية فى إدارة الحكومة :** كانت سياسة المركزية من اكبر أسباب الضعف بروسيا ، ولهذا اصدر "شتاين" فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٧ قانوناً بتنظيم المجالس البلدية والمحلية فى بروسيا ، وبالغاء سلطة الأشراف على المدن والقرى التى زاد عدد سكانها على ٨٠٠ نسمة ، وصار من حق تلك وكذلك الهيمنة على نظام الملكية الزراعية والتعليم والأمن العام ، على أن

تكتفى الحكومة بالأشراف على أعمال تلك المجالس دون التدخل المباشر فى شؤونها . وكان شتاين مزمعاً توسيع هذا النظام لكى يشمل جميع الأقاليم الريفية ولكن الوقت لم يسمح بذلك . ولا ريب فى ان قانون سنة ١٨٠٧ كان الأساس الذى قامت عليه الإدارة الداخلية فى بروسيا فيما بعد .

٣-**نشر الروح الدستورية** : كان الغرض الأول من اتباع نظام اللامركزية تعويد الشعب على حكم نفسه ، ونشر الروح الدستورية بين افراده ، وهى الروح التى بدونها يتعطل النظام الدستورى وتفسد إدارته . والمقصود بالروح الدستورية مجموعة من الصفات والفضائل التى تتعارض مع طبيعة الانسان ، ولذا يصعب اكتسابها وضمان بقائها إلا بعد مران طويل، وأهم تلك الصفات هى: احترام حرية الرأى والخضوع لرأى الأغلبية ورعاية الأغلبية للأقلية والاعتراف بمبدأ تقسيم السلطات . وقد رأى "شتاين" كما يرى كثيرون غيره من المفكرين أن أحسن تمهيد لقيام النظام الدستورى هو تكوين الروح الدستورية فى الشعب وذلك بتعويده على حكم نفسه فى دوائر محلية ضيقة ، ثم بعد ذلك يتدرج هذا النظام حتى يشترك الشعب فى حكم البلاد بأجمعها ، بدلاً من اتباع عكس هذه الطريقة كما فعلت بعض الدول الأخرى.

٤-**إلغاء النظام الاقطاعى** : لكي يتمتع الشعب بما هو أهل له من الحرية والرفاهية ، وقد تم ذلك بقانون صدر فى أكتوبر سنة ١٨٠٧، ولا ري فى أن هذا الاصلاح كان اجل خدمات "ستاين" لبروسيا، وقد نتج عن هذا القانون:

(أ) إلغاء العبودية والسخرة وكل ما يحد من خرية الفرد.

(ب) إلغاء جميع القيود الخاصة بامتلاك الاراضى وبيعها وتأجيرها

obeikandi.com

(ج) إلغاء جميع النتائج السيئة الناجمة عن نظام الطبقات،فأصبح الشريف حراً فى الاشتغال بما يشتغل به سكان المدن، وصار المزارع قادراً على ان يرتقى إلى مرتبة سكان المدن بل إلى مرتبة الأشراف.

وبعد انتهاء عصر "شتاين اتبع خلفه الوزير (هاردنبرج) سياسته فى الاصلاح ، واصدر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨١١ قانوناً تضى بامتلاك المزارعين للاراضى التى فى حوزتهم على شريطة ان يتحفظ الاشراف بثلث تلك الأراضى فى مقابل نزولهم عن حقوقهم الاقطاعية القديمة.

وقد لقيت هذه الاصلاحات الخطيرة مقاومة كبيرة من جانب الأشراف ولكن الحكومة تمكنت من التغلب على ذلك بسبب اعتمادها على قوة الرأى العام ، وعلى حرج مركز الأمة الذى استلزم ضرورة الهدوء والتعاون والتضحية من جميع الأفراد . هذا فضلاً عن انتشار العقيدة بأن بروسيا لن تستطيع طرد الفرنسيين من بلادها إلا إذا تحسنت إدارتها وارتفعت الروح المعنوية فى شعبها.

وبهذه الوسائل نجحت بروسيا فى سنوات قلائل فى التمتع بأهم الاصلاحات التى أوجدتها الثورة فى فرنسا ، كالتخلص من مساوئ نظام الطبقات والقيود الاقطاعية الخ . وكان ذلك بفضل حكومة مستبدة متنورة عرفت كيف تستغل محنة البلاد السياسية ويقظة الرأى العام ، فأدخلت كثيراً من الاصلاحات الجوهرية دون أن تستخدم وسائل العنف وإراقة الدماء كما فعلت فرنسا.

الاصلاحات الفرنسية فى ألمانيا :

لم تتمتع بروسيا وحدها بالاصلاح فى ذلك الوقت ، بل شاركتها فى ذلك كل ألمانيا ، غير ان الاصلاح فى بروسيا تم بسبب ظروفها الداخلية وبمجهود حكومتها المستبدة ، فى حين أن الاصلاح فى بقية ألمانيا نتج عن تاثير العوامل الخارجية . فان نابليون فرض ذلك الاصلاح على الأقاليم الألمانية التى وقعت فى يده او بقيت موالية له . وتم ذلك على النحو الآتى:

١-**الأراضى الواقعة غربى الرين** : كانت تلك الأراضى اكثر أجزاء ألمانيا ارتباطاً بفرنسا وتأثيراً بأنظمتها الجديدة ، نظراً لمتاخمتها لفرنسا ولخضوعها لها منذ عهد الثورة . وقد ضم نابليون تلك الاراضى نهائياً الى فرنسا فصارت حتى سنة ١٨١٤ مكونة لاربع مقاطعات فرنسية ، ولهذا دخلت فيها جميع الاصلاحات الفرنسية دفعة واحدة . وقد رحب سكان تلك الاقاليم بالحكم الفرنسى لأنه حررهم من الخضوع للأشراف والكنيسة وجعلهم ناعمين بمزايا المساواة الحقيقية ، ولذا نشأت بينهم ، كما فى فرنسا ، طبقة كبيرة من صغار الملاك ، فتقدمت الزراعة ، وارتفع مستوى المعيشة بين السكان ، وكذلك انتعشت الصناعة وراجت التجارة بسبب تحررها من القيود التى كانت رازحة تختها ، ولتمتعها بإدارة حكومية حازمة وعادلة.

٢-**دوقية (برج)** : أنشأ نابليون تلك الدوقية على نهر الرين الأدنى لأغراض حربية ، وأدخل فيها كثيراً من الاصلاحات الهامة كقانون نابليون ونظام الضرائب الفرنسى ، وكذلك العملة والمقاييس والمكاييل الفرنسية ، وأزيلت القيود التى منعت سكان المدن من امتلاك الاراضى الزراعية ، وألغيت الجمارك الداخلية والنقابات الطائفية ، وبدئ العمل فى كثير من المشاريع العامة المفيدة.

٣-**مملكة وستفاليا:** كانت تلك المملكة أهم الوحدات السياسية التى اوجدها نابليون فى ألمانيا ، وقد أدخل فيها نظام الحكم النيابى وقانون نابليون ، ونظام المحلفين عند نظر الجنايات ، وكذلك فرض عليها نظام الحكم الادارى فى فرنسا وقتئذ ، هذا فضلاً عن إلغاء العبودية وجميع القيود الاقطاعية وامتيازات الاشراف .

٤-**دوقية وارسو** : تألفت هذه الدوقية من الأملاك التى استحوذت عليها بروسيا عند تقسيم بولندة ، واصبحت خاضعة لملك سكسونيا ، ولذا لم تكن تحت سيطرة فرنسا مباشرة . وقد ادخلت فيها اكثر الاصلاحات السابقة كألغاء العبودية ، وتحقيق المساواة امام القانون ، والعناية بنشر التعليم العام . غير أن الاصلاخات كانت أقل ظهوراً منها فى الاقاليم السابقة لكونها أقرب الى الناحية النظرية منها الى الناحية العملية ، إذ أن سكان تلك الدوقية لم يكونوا من الجنس الجرمانى بل من الجنس الصقالي.

٥-**الولايات الموالية لنابليون** : كانت بقية الأجزاء ألمانيا عدا ما سبق مؤلفة من ولايات مستقلة داخلياً مثل بفاريا وورتنبرج وسكسونيا ، ولم تجسر حكوماتها الرجعية على مخالفة نابليون بل رغبت فى إرضائه والتقرب إليه باتباع سنة الاصلاح التى كان ميالاً إليها ، وبذا انتشرت أغلب الاصلاخات السابقة فى تلك الولايات ، ولكنها لم تبلغ من العمق والثبات ما بلغته فى بروسيا أو الأقاليم الخاضعة لفرنسا.

وبالجملة فأن حالة ألمانيا السياسية والاجتماعية تحسنت كثيراً فى ذلك العهد بفضل نفوذ نابليون ، سواء أكان ذلك مباشرة أم بطريقة غير مباشرة . غير أن فوائد تلك الاصلاحات ولا سيما فى خارج حدود بروسيا ، لم تظهر على حقيقتها وقتئذ بسبب كثرة الحروب القائمة وما استلزمته من التعسف فى جمع الضرائب ومعاملة الشعب.

وبعد أن دلت دولة نابليون وتحررت الأراضى الألمانية من الحكم الفرنسى حاول الأشراف والحكومات الرجعية إلغاء تلك الاصلاحات وإعادة الحالة إلى ماكانت عليه قبل ذلك ، ولكنهم لم يفلحوا بسبب قوة تمسك الرأى العام بها ، ومن هنا نشأت اهمية تلك الاصلاخات من الوجهة التاريخية . ويستدل على ذلك من أنه سنة ١٩٠٠ عندما كانت الأمبراطورية الألمانية بصدد وضع قانون مدنى جديد ، واتضح أن نحو ١٧% من مجموع سكانها البالغ عددهم نحو ٥٠ مليوناً مازالوا خاضعين للقانون الفرنسى.

على أن الأقاليم الألمانية الواقعة فى حوض الرين كانت أكثر نجاحاً من غيرها فى الاحتفاظ بما اكتسبه من الاصلاحات الكثيرة ، وذلك لأن طول مدة خضوعها للحكم الفرنسى أدى إلى تأصل تلك الاصلاحات فيها وشدة تمسك اهلها بها . ولذا بقيت تلك الأقاليم فى خلال القرن التاسع عشر نموذجاً لبقية أجزاء ألمانيا وقدوة لها فى الاصلاح.

obeikandl.com